Kufa Journal of Arts
March 2025. No. 63, P 218 - 244
Faculty of Arts, University of Kufa.

مجلة آداب الكوفة
العدد ٦٣، اذار ٢٠٢٥م، ص ٢١٨-٢٤٤
كلية الآداب، جامعة الكوفة

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

إنكلترا في ظل حكم وصاية وليم مارشال على الملك هنري الثالث ١٢١٦-١٢١٩

م.د محمد عبدالرضا موسى
جامعة الكوفة/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٤/٧/٣٠، تاريخ القبــول: ٢٠٢٤/٩/١٢، تاريخ النشر: ٢٠٢٥/٣/١

الملخص:

كان للأحداث الداخلية والخارجية التي شهدتها انكلترا في بداية القرن الثالث عشر ان هزت العرش الانكليزي وكادت ان تطيح بحكم اسرة البلاتاجينت وانتقال الحكم تحت سيطرة اسرة ال كابيه الفرنسية لولا صمود حكومة الوصي وليم مارشال ومن معه من البارونات الانكليز الذين بقوا موالين للتاج الانكليزي فضلا عن جزء من المجتمع الانكليزي، الا ان تلك الاحداث القت بظلالها على مجمل الاوضاع في انكلترا فعلى المستوى الاجتماعي فقد عانى المجتمع الانكليزي من التفكك والتناحر أدى ذلك الى اندلاع حرب اهلية، كما ان الوضع الاقتصادي اصيب بالشلل واصبحت خزينة الدولة خاوية وحتى بعد انتهاء تلك الحرب واستعاده التاج الانكليزي السيطرة على البلاد وعلى الرغم من محاولات حكومة الوصي ان تحسن الاوضاع الاقتصادية الا ان الامور ظلت صعبه من الناحية المادية حتى وفاه الوصي وليام مارشال مارشال.

الكلمات المفتاحية: إنكلترا -هنري الثالث- الوصي -وليام مارشال – لويس- فرنسا- البارونات

England under the regency of William Marshal over King Henry III 1216-1219

M.D. Muhammad Abdel-Rida Musa
University of Kufa, College of Arts, Dept. of History

Received Date: 30 / 7 /2024, Accepted Date: 12/9/2024, Published Date: 1/3/2025

Abstract:

The internal and external events that England witnessed at the beginning of the thirteenth century shook the English throne and almost overthrew the rule of the Platagent family and the transfer of power under the control of the French Capet family, had it not been for the steadfastness of the government of the regent William Marshall and the English barons with him who remained loyal to the English crown, as well as part of English society, but these events cast a shadow on the overall situation in England. On the social level, English society suffered from disintegration and strife that ended with the outbreak of a civil war. The economic situation was also paralyzed and the state treasury became empty, even after that war ended and the English Crown regained control of the country. Despite the attempts of the regent government to improve economic conditions, things remained financially difficult until the death of regent William Marshall.

Keywords: England - Henry III - Regent - William Marshall - Louis - France – Barons.

DOI: https://doi.org/10.36317/kja/2025/v1.i63.16707
Kufa Journal of Arts by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4. 0 International License.
مجلة آداب الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي.

المقدمة

شهدت انكلترا احداثاً جساماً قبيل وبعد وفاه الملك جون (١١٩٩-١٢١٦)حيث توفي الأخير وهو يخوض غمار حرب انجلو فرنسية عرفت بحرب البارونات الأولى نشبت نتيجة استبداده بالسلطة وسياساته المجحفة التي طالت اغلب طبقات المجتمع الانكليزي، وما زاد الامر تعقيدا هو استعانة البارونات معارضي الملك جون بقوة خارجية كانت طامعة وطامحه في العرش الانكليزي الا وهي فرنسا تمثلت بالأمير لويس ابن الملك الفرنسي فيليب اغسطس، فضلا عن ذلك عند وفاه الملك جون في عام ١٢١٦ لم يترك وريثاً بالغاً سن الرشد يستطيع ادارة المملكة من بعده وسط تلك الأجواء فقد كان ابنه هنري طفلا يبلغ من العمر تسع سنوات فقط مما استوجب تعيين وصي عليه وعلى المملكة.

وينقسم البحث الى مقدمة وثلاث مباحث تلتهما خلاصة ومن ثم قائمة المصادر، تناول الاول وفاه الملك جون ومن ثم تتويج ابنه الطفل هنري ملكا على انكلترا باسم هنري الثالث في ١٩ تشرين الاول ١٢١٦ وتنصيب وليم مارشال وصيا عليه، وبين المبحث الثاني حرب البارونات الاولى التي كانت قد اندلعت في شهر اذار من عام ١٢١٦ ثم تبعها الغزو الفرنسي لإنكلترا، وتطرق المبحث الثالث الى معاهدة السلام والاعمال الأخيرة للوصي الى وفاته.

المبحث الأول

تتويج هنري الثالث ملكا على إنكلترا وتنصيب وليم مارشال وصيا عليه عام ١٢١٦

توفي الملك جون(John) (١١٩٩-١٢١٦) في ١٩ تشرين الاول عام ١٢١٦في نيوارك (Newark) بسبب مرض أصيب به نتيجة ارهاقه الشديد قبيل وفاته فضلا عن افراطه في الأكل والشرب (Cross, 1920, p. 97)وكان ما يقرب من نصف مملكته بما في ذلك العاصمة لندن تحت سيطرة الغزاة الفرنسيين الذين كانوا مدعومين من قبل قسم كبير وقوي من البارونات الإنكليز فضلا عن كثير من مواطني المقاطعات الإنكليزية , ولم يرزق الملك جون بأولاد من زوجته الأولى وريثة إيرل غلوستر (Gloucester) التي طلقها بعدما أصبحت له علاقة بإيزابيلا ابنة إيرل أنجوليم(Angouleme) التي تزوجها على الرغم من أنها كانت مخطوبة لإيرل ماركي(Marche) ورزق منها ثلاث بنات وصبيين ولم يكن عمر أكبرهما وهو الامير هنري سوى تسع سنوات. (Markham, 1853, p. 112)

وكان آخر عمل قام به الملك جون هو ان اوصى برعاية ابنه الأكبر هنري الى ويليام مارشال(William Marshal) إيرل بيمبروك (Earl of Pembroke) الذي قدم خدمات كبيرة لمولك اسرة البلاتاجينت فضلا عن الكاردينال جوالو (Gwalu) مندوب البابا الجديد هونوريوس الثالث (Honorius III) (LUCHAIRE, 1911, p. 257) وكان موقف ويليام مارشال ثابتًا من الملك جون ليس لأنه أحب أعماله، ولكن لأنه مثل العديد من كبار المسؤولين

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

كان يخشى من أن انتصار البارونات سيتبعه الفوضى. في حين أن خصوم الملك من البارونات الانكليز كانوا يرون ان من الأفضل أن يكون لديهم ملك أجنبي بدلاً من أن يكون ملك انكليزي مثل جون الذي طغى عليهم بمساعدة قوات الأجانب المرتزقة. (R.GARDINER, 1907, p. 130)

وذكرت بعض المصادر التاريخية ان الملك جون خاطب المقربين منه القلائل الذين وقفوا حوله وهو على سرير الموت، ان اطلب منهم ابلاغ وليم مارشال أن يغفر له الأخطاء التي ارتكبها معه. وذكر لهم بانه خدمه دائمًا بإخلاص، على الرغم من انه لم يعامله بشكل جيد. ثم بكى الملك وهو يحتضر وقال لمن حوله يا سادة، من أجل الله الذي خلق العالم، أتوسل إليكم أن يكون ابني في عهدة وليم مارشال لأنني أثق في ولائه أكثر من ولاء أي رجل آخر، وأن يرعاه ويحرسه دائمًا، لأن ابني هنري لن يكون قادرًا على الاحتفاظ بأرضه من خلال أي شخص إلا إذا كان وليم مارشال. لأنه كان مدركًا للخطر الكبير على ابنه وانكلترا بشكل عام. (ORPEN, 1920, p. 16)

وكانت المجموعة الصغيرة من القوات التي أحضرها الملك جون من الغرب الأوربي لمقاتلة الفرنسيين وانهاء الحرب الاهلية في مملكته تتكون اغلبها من مرتزقة أجانب. وربما كان من المتوقع أن تقوم تلك القوة بمجرد وفاة الملك وحالة الضعف التي كانت عليها المملكة بنقل خدماتهم إلى منافسه الفرنسي الا انه من حسن حظ ورثة الملك انهم لم يفعلوا ذلك، بل أخذواعلى عاتقهم بالإيفاء بالأمانة وتنفيذ رغبات الملك جون الأخيرة بقدر ما تكفي قوتهم، من خلال نقل جثمان الملك من نيوارك إلى ووستر (Worcester)، ودعوة البارونات المخلصين للملك لمقابلتهم هناك لغرض مزدوج وهو دفن الملك واتخاذ إجراءات هجومية ودفاعية لتأمين حقوق وريثه. وعندما سمع وليم مارشال خبر وفاة الملك كان في غلوستر شعر بالحزن عليه وانتقل على الفور لحضور الجنازة في ووستر كذلك سارع ممثل البابا للالتحاق بهم وتم وضع الأمير الطفل في قلعة ديفايسز (Devizes) من اجل ان يكون بأمان بشكل أكبر. (NORGATE, 1912, pp. 1-2)

وبعد عشرة أيام من وفاة الملك جون, تجمع معظم البارونات الانكليز الذين بقوا على ولائهم للملك الإنكليزي في غلوستر وترأس المجلس الملكي المندوب البابوي لوضع الترتيبات النهائية لتتويج الملك الجديد (MARTIN, 1859, p. 291) وبالفعل تم ذلك في ٢٨ تشرين الأول ١٢١٦حيث تم إحضار الأمير الصغير إلى هذه المدينة وحصل على لقب فارس من ويليام مارشال، ثم ألبسوه الثياب الملكية وأخذوه إلى كنيسة سانت بيير(St. Pierre) (DUTAILLIS, 1894, p. 132) في موكب رسمي مهيب ووقف أمام مذبح الكنيسة ، واخذ يردد قسم التتويج التقليدي القديم الذي املاه عليه أسقف باث(Bath) (بأنه سيحافظ طوال أيام حياته على الكرامة والسلام والتبجيل لله وللكنيسة ووزرائه المعينين. وأنه سيجلب الحق والعدل للأشخاص الملتزمين به، كما أنه سيلغي القوانين السيئة والعادات الشريرة إن وجدت في المملكة، وسيلتزم بالقوانين والعادات الجيدة ويجعل جميع الناس يلتزمون بها ويحترمونها) ، ثم أشاد

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

بالكنيسة الرومانية المقدسة والبابا ودورهما من أجل مملكتي إنكلترا وأيرلندا وأقسم بالولاء لهما ، وتعهد بإنه سيدفع آلاف الماركات التي وعد بها والده إلى الكرسي الروماني. (NORGATE, 1912, p. 4)

ولم يكن هذا التتويج نهائيا اذ لا ينبغي أن يتم تنفيذ حفل من هذا النوع الا في وستمنستر، وكان على رئيس أساقفة كانتربري ان يضع التاج على راس الملك الجديد وفقًا لما هو متوارث ولكن وسط تلك الظروف الصعبة لم يكن افضل مما كان (DUTAILLIS, 1894, p. 132) وكان لجوالو(الإيطالي) وحده بصفته مندوبًا للبابا الحق في أن يأخذ مكان رئيس أساقفة كانتربري في مثل هذه المناسبة ولكن يبدو أنه رفض فعل ذلك بلباقة ، وكلف عضوًا من الأسقفية الإنكليزية للعمل بدلاً منه ، بينما كان هو نفسه يضطلع بواجب عادي يتمثل في ترديد القداس، وبموافقة السلطة الأسقفية قام الأسقف بيتر(Peter) من وينشستر(Winchester) بمساعدة أساقفة وورسستر وإكستر(Exeter) بمسح الزيت على جسد الأمير الصغير ووضع التاج على رأسه, وفي ليلة التتويج ذهب المقربون من الملك الراحل جون إلى وليام مارشال بنفس الطلب الذي سبق أن طلبوه منه مخاطبين اياه (لقد جعلت سيدنا الشاب فارسًا هو مدين لك بتاجه نحن جميعًا ندعو لك أن تأخذه إلى رعايتك) أجاب ويليام مارشال (لا أستطيع أنا عجوز المهمة ثقيلة جدًا بالنسبة لي اتركوا الأمر حتى يأتي إيرل تشيستر Chester) وبهذا الجواب صرفهم عنه طوال الليل. (NORGATE, 1912, pp. 4-5)

حيث كان وليم مارشال مترددًا في تولي المهمة نظرا لصعوبتها وخطورتها والوضع المعقد التي كانت تمر به انكلترا((CLANCHY, 2014, pp. 15-16) وفي صباح اليوم التالي يوم ٢٩ تشرين الأول ١٢١٦ قام المندوب البابوي بعقد اجتماع ضم وليم مارشال وايرل تشيستر وأسقف وينشستر وشخص أو اثنين آخرين ، حيث تمت مناقشة الأمر بينهم على انفراد. ومع ذلك لم يتم التوصل إلى نتيجة، حتى أخيرًا توسل المندوب البابوي إلى وليم مارشال، ووعده أن يتولى مسؤولية مغفرة خطاياه والغفران عنها، حتى يُغفر له تمامًا أمام الله يوم القيامة بسم الله. عندها قال وليم مارشال (إذا خلصت من خطاياي، فإن هذه المهمة تناسبني جيدًا سأقبلها مهما كانت مرهقة). بعد قبول وليم مارشال المسؤولية كوصي على الملك والمملكة ذهب إلى أبعد من أفكار الآخرين. ، عندما قدم على الفور اقتراحًا بضرورة وجود رجل حكيم يرافق الملك الصغير وان يستقر في مكان مريح فهو لا يستطيع ان يتنقل مع الملك من مكان الى اخر فوقع اختياره على أسقف وينشستر كذلك كان تولي وليم مارشال المنصب الجديد ان قوبل بترحاب وابتهاج كبير من قبل فئات واسعة من الشعب الانكليزي . (NORGATE, 1912, pp. 6-8)

بدأ الوصي وعلى الفور مهامه الجديدة دون مزيد من التردد، حيث أصدر توجيهاته بإرسال الرسائل على الفور إلى جميع عمد المدن وحراس القلاع في جميع أنحاء إنكلترا لإلزامهم بالطاعة للملك الجديد، وفي ذات الإطار فان المندوب البابوي لم يسمح للوقت بالمرور دون نشاط. ففي ٩ تشرين الثاني ١٢١٦ ترأس مجمعًا في بريستول(Bristol) وأجبر فيه الأساقفة الأحد عشر الحاضرين والعديد من رجال الدين الأدنى مرتبة من الاسقف، إلى جانب

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

الإيرلات والبارونات والفرسان الذين بقوا على ولائهم للملك الإنكليزي وجاءوا بناءً على استدعائه ليقسموا الولاء للملك الجديد, ثم فرض حرمانا كنسيا على جميع أنحاء ويلز لأنها وقفت مع البارونات الذين عارضوا الملك كذلك فعل مع جميع النبلاء الانكليز ومساعديهم ومحرضيهم الذين عارضوا الملك. (GASQUET, 1910, p. 30)

وحاول الوصي ان يخفف من حجم المعارضة للسلطة الملكية عندما ارسل رسائل إلى البارونات المعارضين وعرض عليهم المكافأة والتعويض للذين سيقفون إلى جانب الملك الجديد. وفي خطوة جريئة تم إعادة اصدار ميثاق الماكنا كارتا في ١٢ تشرين الثاني ١٢١٦ بختم الوصي والمندوب البابوي كون ان الملك جون قد مات وهو يقاتل في حرب ضروس ضد كل من يدافع عن ذلك الميثاق كما ان البابا قد أدان الماكنا كارتا ووصفها بأنها "لاغية وباطلة من كل صلاحية إلى الأبد" (Jones, 2015, pp. 147-148) لكن كلا من البابا إنوسنت الثالث(Innocent III)والملك جون قد ماتا في ذلك الوقت، وان الظروف الجديدة تفرض تفكيرًا جديدًا واتباع سياسة الاسترضاء. وكان الوصي والمندوب البابوي يتمتعان بالمرونة الكافية لرؤية خطورة الوضع, لذلك تم إعادة اصدار ذلك الميثاق في ذلك التوقيت على الرغم من ان التعديلات كانت صغيرة ولكنها مهمة مع حذف البنود التي تتناول منح المساعدات والمساعدات الاستثنائية التي كان يفرضها الملك على البارونات. (Davies, 1916, p. 97)

المبحث الثاني

حرب البارونات الاولى والغزو الفرنسي لإنكلترا ١٢١٦-١٢١٧

بالتأكيد كانت المهمة الأهم والاكبر بالنسبة للوصي هو خلاص إنكلترا من الغزو الفرنسي والقضاء على ثورة البارونات الأولى التي كانت قد اندلعت في شهر اذار من عام ١٢١٦ بسبب موقف البابا المتشدد ضد النبلاء الانكليز ورفض الملك جون قبول طلباتهم ونكرانه الماكنا كارتا التي وافق عليها مجبرا عام ١٢١٥, مما دفع النبلاء الإنكليز الى الاستعانة بقوة خارجية تمثلت بالأمير لويس ابن الملك الفرنسي فيليب أغسطس من اجل تحقيق ما يصبون اليه من استعادة امتيازاتهم ونفوذهم وازاحة الملك جون من عرشه وتسليم ذلك العرش للأمير لويس, في المقابل وجد الأخير في ذلك فرصة ذهبية لتحقيق ما يصبو اليه بالوصول الى العرش الإنكليزي من خلال ادعائه انه له حق وراثة التاج الانكليزي كونه كان متزوجا من ببلانتش القشتالية (Blanche of Castile) حفيدة الملك هنري الثاني(١١٥٤ -١١٨٩) وادعى الأمير لويس انه في عام ١٢٠٣ كان الملك جون قد خلع من عرش إنكلترا عندما اقدم على قتل ابن أخيه كونت بريتاني (Brittany) , وان المحكمة الفرنسية ادانته بذلك, لكن والده الملك الفرنسي لم يكن مندفعا لهذا الادعاء, ولم يرغب في قتال جديد مع الملك جون, لاسيما وان ذلك سيغضب البابا الذي عقد الصلح مع الملك الإنكليزي واضحت إنكلترا اقطاعية تابعة للكرسي الرسولي عام ١٢١٣. (محمد، ٢٠٠٨، صفحة ٥٦)

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

ولم يمنع ذلك الامير لويس من العبور الى إنكلترا في أيار عام ١٢١٦ لتزداد وتيرة الحرب الاهلية ولتتفاقم الأوضاع بشكل اكبر في المملكة (Andrews, 1903, p. 120) وعند وفاة الملك جون في ١٩ تشرين الأول ١٢١٦(كما ذكرنا سابقا) كان الامير لويس لا يزال مع الجزء الأكبر من قواته يعسكر أمام قلعة دوفر التي كان يحاصرها منذ شهر تموز من ذات العام وكان قد توصل الى عقد هدنة مع قائدها القاضي هيوبرت دي بيرغ (Hubert de Burgh) في ١٤ تشرين الاول الذي كان يسعى للتواصل مع سيده الملك جون للحصول منه إما على المساعدة أو مغادرة القلعة والاستسلام. وعندما تأكد الامير لويس من وفاة الملك جون شعر بالارتياح واعتقد ان انصر اصبح في متناول اليد، (RAMSAY, 1908, p. 5)فدعا هيوبرت دي بيرغ إلى نقاش وخاطبه قائلا(سيدك الملك جون مات، لا فائدة من أن تحافظ على هذه القلعة وتقف ضدي لمدة أطول، لأنك لا تملك أي عون، سلّم القلعة وتعال إلى ولاءي، وسأغنيك وستكون عظيمًا بين مستشاري) اجابه هيوبرت دي بيرغ (إذا مات سيدي، فسيكون لديه أبناء وبنات ينبغي أن يخلفوه ،أما بالنسبة لتسليم القلعة، فأنا أرغب في التحدث مع رفاقي في الحامية) وبعد التشاور معهم اتفق الجميع على الرفض لئلا يوصمون بعار الخيانة، مما اضطر الامير لويس على الموافقة على هدنة أخرى مع هيوبرت دي بيرغ حتى بعد عيد الفصح، وانسحب إلى لندن وهو يشعر بالاستياء (MAURICE, 1872, p. 237;)

وكانت موازين القوى تصب في صالح الأمير الفرنسي الذي كان يسيطر مع حلفائه الإنكليز على المقاطعات الجنوبية الشرقية وكذلك في الشمال من نوتنغهامشاير (Nottinghamshire) ولينكولنشاير Lincolnshire إلى حدود اسكتلندا، كما جرد رجال الدين الذين لم يقفوا معه من ممتلكاتهم واجبرهم على الهجرة، وحاول إرغام بعض الأساقفة على تكريمه لكن معظمهم تهربوا أو اشتروا الهدنة. ولم تؤدي وفاة البابا إنوسنت الثالث في ١٦ تموز ١٢١٦ ومجيء البابا هونوريوس الثالث Honorius III الى تحسين العلاقة بين الطرفين, (DUTAILLIS, 1894, pp. 113-134-135)على الرغم من وضع معسكر الامير لويس آمالًا كبيرة على البابا الجديد، حيث ان في شهري كانون الاول ١٢١٦ وكانون الثاني ١٢١٧تم إرسال العديد من الرسائل من روما بخصوص شؤون إنكلترا، حيث أغدق البابا هونوريوس الثالث التشجيع على الملك الصغير ومؤيديه،ومن خلال مندوبه في انكلترا أرسل تعميما إلى البارونات الإنكليز لحثهم على الاعتراف بهنري الثالث ملِكا على انكلترا وعدم الوقوف مع الأمير الفرنسي . (DUTAILLIS, 1894, p. 137; LUCHAIRE, 1911, pp. 257-258)

وفي شهر كانون الثاني ١٢١٧ انتقل الأمير لويس من هيرتفورد (Hertford) إلى بيرخامستيد وهناك استسلم الملكيون مرة أخرى من اجل استمرار الهدنة، فدعا الأمير لويس أتباعه إلى مجلس في كامبريدج(Cambridge) ، بينما اجتمع الملكيون في أكسفورد (Oxford) بحضور الملك وسعوا الى اجراء مفاوضات من أجل السلام، أو إذا فشلوا في ذلك فانهم سيعملون على تمديد وقت إضافي للهدنة. انداك شعر الوصي أن الوقت كان إلى جانبه وكان حريصًا على تجنب التصعيد بينما رفض الأمير لويس وحلفائه الانكليز أي سلام او حتى

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

تمديد للهدنة، الا ان الضغوط البابوية على الملك الفرنسي فيليب أغسطس والتهديد بالحرمان الكنسي على فرنسا بأكملها جعلته يسرع بارسال الرسائل الى ولده يدعوه فيها الى ضرورة العودة الى فرنسا، وتحت هذا التأثير اضطر الأمير لويس الى عقد هدنة مع الوصي تستمر الى عيد الفصح بشهر أي تنتهي في ٢٦ نيسان ،وكانت شروطها هي استسلام هيدنغهام (Hedingham) وكولشيستر(Colchester)والتنازل عن قلاع أكسفورد ونورويتش (Norwich)وكولشيستر(Colchester) لصالح الامير لويس (RAMSAY, 1908, p. 6) وعلى الرغم من ذلك كان الوصي سعيدا بالهدنة ، حيث استخدمها أحيانًا لتقوية قواته، وأحيانًا لكسب مؤيدين جدد للملك هنري الثالث. (Gaillard, p. 326)

وهكذا بحلول بداية شهر شباط عام ١٢١٧ اكتملت سيطرة الامير لويس على شرق انكلترا دون عناء كبير الا انه في ذلك الوقت كان حريصًا على العودة إلى فرنسا، حيث ظل والده يراسله مرارا من اجل فعل ذلك بشكل عاجل، كما كانت تصله رسائل من بعض عيونه في روما تخبره فيها أنه ما لم يغادر إنكلترا فإن البابا ينوي تأكيد الحرمان الكنسي الذي أصدره عليه المندوب البابوي جوالو. وعندما أعلن لحلفائه الإنكليز في لندن عن نيته مغادرة البلاد استاءوا بشدة، وكان عليه أن يقسم يمينًا رسميًا لهم بأنه سيعود قبل انتهاء موعد الهدنة. (NORGATE, 1912, pp. 20-21) وبالفعل في نهاية شباط ١٢١٧ غادر الأمير لويس الى بلاده فرنسا. (DUTAILLIS, 1894, p. 141)

وبعد أيام قليلة من ذلك انضم اثنان من المعارضين المهمين اللذان كانا بجانب الأمير لويس الى القوات الملكية وهما لونجسورد (longsword) إيرل سالزبوري(Salisbury) والابن الأكبر للوصي والتقى بهم الأخير بالقرب من شورهام (Shoreham) ليقودا بعد ذلك أتباعهما إلى وينشستر ومحاصرتها من أجل الملك. في حين قاد الوصي قواته وفرض حصارًا على فارنهام(Farnham) في الأسبوع الأول من شهر اذار مما يعني ان الهدنة أصبحت في مهب الريح ، وبحلول ١٢ اذار تم الاستيلاء على فارنهام وبعد مدة قليلة كانت وينشستر والقلعة المعروفة باسم وولفسي (Wolfsie) تحت سيطرة الملكيين. ولم يصمد سوى القلعة الملكية في الطرف الغربي من المدينة ، كذلك تحركت القوات الملكية إلى ساوثامبتون ، وتم إرسال فريق آخر بقيادة فيليب دوبيني Philippe Daubigny) لمحاصرة بورتشيستر(Portchester) . بعدها حاصر ابن الوصي مدينة مارلبورو(Marlboro) في ٣١ اذار ٢٠١٧ وتم السيطرة عليها بعد قتال صعب، كذلك تم السيطرة على ساوثهامبتون وأوديهام وتشيتشيستر لتصبح تحت سيطرة القوات الملكية التي ازدادت اعدادها بسرعة مع تزايد عودة المعارضين الى ولائهم للملك الإنكليزي. (RAMSAY, 1908, p. 7)

في ذلك الوقت كان الامير لويس في فرنسا يحاول الحصول على موارد جديدة وتحشيد قوات تعينه في انكلترا. لم يستطع الحصول على كل ما يتمناه بل انه أصيب بخيبة امل فعمد الى اقتراض بعض المال من أصدقائه وقام بتجميع عدد قليل من الفرسان بحدود ١٤٠ فارسًا وبعض القوات من المرتزقة وأبحر من كاليه إلى انكلترا مرة أخرى يوم السبت ٢٢ نيسان ١٢١٧ وفي

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

اليوم التالي ذهب إلى دوفر. وكان ينوي البدء فورًا في حصار القلعة هناك لكنه علم أن أربعة من أهم الأماكن لديه وهي وينشستر ومارلبورو وساوثامبتون ومونتسوريل (Montsorrel) كانت محاصرة من قبل الملكيين فشعر باستياء شديد لذلك عمل على تجديد الهدنة مع هيبورت دي بورغ قائد حامية دورفر ثم سار الى لندن ومكث فيها. (DUTAILLIS, 1894, pp. 145-147)

معركة لينكولن Lincoln

عمل الامير لويس أثناء وجوده في لندن على تقسيم قواته الى قسمين، الأول كان يحاول الاستيلاء على دوفر بينما انتقل الجزء الأكبر من قواته (R.GARDINER, 1907, p. 258) لرفع الحصار عن مونتسوريل وكانت بقيادة توماس كونت بيرش Thomas, Count of Perch وكان الى جانبه إيرل وينشستر وروبرت فيتز والترRobert Fritz Walter ابرز البارونات الاقطاعيين الانكليز المعارضين للملك ، وعملوا على نهب كل البلدات التي كانوا يعبرونها، فضلا عن اسر عدد من السكان ولم يطلقوا سراحهم الا بعد دفع فدية باهظة الثمن (SISMONDI, 1823, p. 468)

وعند وصولهم مونتسوريل استطاعوا رفع الحصار الذي فرضته القوات الملكية الانكليزية وبدلاً من الاستمرار في مطاردة الهاربين من تلك القوات اتجهوا شرقًا إلى مقاطعة لينكولن ذات الموقع الاستراتيجي وعند دخول تلك القوات تم الترحيب بهم من قبل الناس هناك. الا ان هجومهم ومحاولتهم السيطرة على قلعة المدينة باء بالفشل. بسب المقاومة الشجاعة والمخلصة لقائدة حاميتها نيكولا دي كامفيل (Nicola de Camville) لتبقى تلك القوات داخل المدينة وما حولها. (TODIÈRE, p. 359)

وصلت أنباء هذه الحركة إلى الوصي في ١٢ ايار ١٢١٧ فاجتمع المجلس الملكي الكبير الذي ضم البارونات المخلصين للملك الانكليزي في نورثهامبتون للتباحث في الامر وربما تحركت مشاعر الفروسية لدى الملكيين لمساعدة تلك المرأة الشجاعة وكان من المهم أيضًا الاستيلاء على المدينة نفسها، ورأى الوصي أن الاميرلويس ارتكب خطأ جسيما بتقسيم قواته، فكان من الضروري أن يستغل الفرصة لتدمير الجيش الذي أرسل الى لينكولن. (DUTAILLIS, 1894, p. 149) لذا تحدث الوصي قائلًا: (اسمعوا، أيها الفرسان المخلصون وجميعكم أوفياء للملك، بالله عليكم استمعوا لي، فإن ما سأقوله يستحق الاستماع. في هذا اليوم نحمل السلاح للدفاع عن سمعتنا وعن أنفسنا وأحبائنا وزوجاتنا وأطفالنا، ولنحافظ على أرضنا آمنة، ولنفوز بالشرف العظيم، ومن أجل سلام الكنيسة المقدسة، وان ننال الغفران لجميع خطايانا. وان ننتبه لئلا يكون بيننا مرتد) وبعد هذا الخطاب المؤثر عرض الوضع بوضوح أمام أنصار الملك. وأخبرهم ان جزء من الأعداء يحاصرون قلعة لينكولن، بينما يتواجد لويس في مكان آخر، ويجب علينا أن نقضي عليهم بسرعة مهما كان الثمن، وبالفعل حظي بتأييد جميع الحاضرين (NORGATE, 1912, p. 32)

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

لذلك دعا الوصي جميع سكان القلاع والفرسان المخلصين الى الملك إلى التجمع في نيوارك يوم الاثنين ١٥ أيار ١٢١٧، وكانت الاستجابة جيدة وكانت لديهم رغبة شديدة في قتال الفرنسيين، وكذلك القتال من أجل بلادهم، حيث وصل عددهم إلى أربعمائة فارس، وما يقرب من مائتين وخمسين من رماة القوس والنشاب، وعدد كبير من الرقباء. (SYMPSON, 1906, pp. 72-73) فتجمعت القوات الملكية في نيوارك، على بعد حوالي سبعة فراسخ جنوب غرب لينكولن، وكان من بين الحضور الملك هنري الثالث والمندوب البابوي ورئيس أساقفة يورك وكذلك أساقفة وينشستروهيرتفورد وسالزبوري وباث وإكستر ووستر ولينكولن. وهناك استراح الجيش لمدة ثلاثة أيام، وفي غضون ذلك كان الأساقفة يستمعون إلى الاعترافات بالخطايا من قبل المقاتلين (DUTAILLIS, 1894, p. 149) وكان المندوب البابوي يرتدي ملابسه الدينية الخاصة مما اضاف طابعًا دينيا لتلك القوات، وفي صباح يوم المغادرة الى لينكولن ١٩ أيار ١٢١٧ اصدر المندوب البابوي حرمانا كنسياً على الامير لويس مع جميع شركائه ومحرضيه وخاصة أولئك الذين كانوا يحاصرون قلعة لينكولن وسكان بلدة لينكولن الذين وقفوا الى جانب الأمير لويس والذين ساندوا ثورة البارونات الانكليز. ثم أعطى العفو الكامل عن خطايا الملكيين التي اعترفوا بها اعترافًا صادقًا، وكانوا قد ارتدوا جميعًا صليبًا أبيض على صدورهم. ومنحهم امتيازات الصليبيين، ووعد بالمجد والشهادة لجميع الذين سيموتون في تلك المعركة. (TODIÈRE, p. 359; SYMPSON, 1906, p. 73)

ثم عاد المندوب البابوي إلى نوتنغهام آخذًا معه الملك الصغير تاركًا أسقف وينشستر بيتر دي روش(Peter Des Roches) الذي كان ماهرا في فن الحرب للاستمرار في منصب المستشار العسكري للوصي، اما بالنسبة للرجال المقاتلين كان الطريق المباشر هو طريق فوسPhos ، الذي كان يمتد في خط مستقيم تقريبًا من نيوارك إلى لينكولن، وكان هدفهم الوصول إلى الجانب الغربي من القلعة على قمة التل دون المرور بالمدينة التي كانت في أيدي الفرنسيين وحلفائهم الانكليز. وهناك في ستوStow بجوار لينكولن أمضوا الليل. وفي صباح يوم السبت ٢٠ ايار بعد القداس استعدوا بصفوفهم الكاملة في مسيرتهم الأخيرة نحو لينكولن. (RAMSAY, 1908, p. 9; NORGATE, 1912, p. 34)

ومرة أخرى أمرهم الوصي بالقتال من أجل الشرف أو الجنة ضد أعداء الله والكنيسة. فقاد ايرل تشيستر القسم الاول من الجيش،ام القسم الثاني تولى قيادته الوصي وابنه، في حين تولى القسم الثالث إيرل سالزبوري وكان أسقف وينشستر يقود القسم الرابع والذي كان يتألف من رماة القوس والنشاب، وكانت مجموعة أخرى من رماة الأقواس بقيادة فولكس دي بريوت Foulkes (de Briot) قد شكلت حرسًا متقدمًا سار لمسافة ميل أمام بقية القوات (RAMSAY, 1908, p. 10; painter, 1933, p. 214) وكان الجيش الملكي لديه حوالي أربعمائة فارس وثلاثمائة من رماة القوس والنشاب، بالإضافة إلى قوات من الرقباء وجنود المشاة وراكبي الخيل. اما جيش الأمير لويس وكان عددهم ستمائة فارس وألف جندي مشاة وعدد من اللوردات الفرنسيين، مثل كونت بيرشCount Birch الشاب الذي كان يقود القوات الفرنسية، فضلا عن البارونات

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

الإنكليز مثل كونت وينشستر وإيرل هيرتفورد (MARTIN, 1859, p. 291; DUTAILLIS, 1894, p. 150)

وكان لقلعة لينكولن مدخلان رئيسيان، احدهما يقع شرق المدينة والآخر من الجهة الغربية باتجاه الارض المفتوحة، وكان أنصار الأمير لويس ركزوا كل قواتهم داخل المدينة ووجهوا كل هجماتهم على القلعة من هناك، ولم يتخذوا أي خطوات لمنع حاميتها من التواصل عبر ميناء سالي الغربي مع أصدقائهم في الخارج، في حين كان الجيش الملكي قد توقف على مسافة قريبة من البوابة الغربية لمقاطعة لينكولن ، ومن هناك أرسل الوصي ابن أخيه جون لتقصي الأوضاع هناك، وفي طريقه التقى بأحد رجال حماية القلعة ارسلته السيدة نيكولا المسؤولة عن القوة التي تحمي القلعة سرًا ليخبر قادة الجيش الملكي كيف هي الأمور في الداخل، وأن هناك بابًا صغيرًا يقع في خلف القلعة أي الباب الصغير لميناء سالي الغربي، كان مفتوحًا بالفعل لاستقبالهم، ومع رسالة الترحيب هذه، سارع جون ابن اخي الوصي للعودة وقد شوهد وطارده بعض الفرنسيين لكنه نجا دون أن يصاب بأذى. (painter, 1933, pp. 216-217; Mcjlynn, 2011, p. 208)

شعر البارونات الانكليز والفرنسيين الذين كانوا في المدينة بثقة كبيرة في انتصارهم، لدرجة أنه عندما أخبرهم رسلهم باقتراب أعدائهم لم يكترثوا كثيرا للامر، لكن روبرت فيتزوالتر وساير دي كوينسي(Sayre de Quincey) إيرل وينشستر، عندما سمعا أن العدو كان يقترب من المدينة خرجا لمراقبة اقترابهم ولحساب أعدادهم وعندما قاما بمسح دقيق للعدو الذي كان يقترب، عادا إلى أصحابهم وقالوا إن العدو قادم إلينا بتنظيم جيد ولكننا أكثر منهم بكثير، فنصيحتنا أن ننطلق إلى اعلى التل لمقابلتهم، لأننا إذا فعلنا ذلك سوف نقبض عليهم بسهولة. لكن كونت بيرش كان حذرًا بحيث لم يتصرف بناءً على تقرير غامض وخرج بنفسه مع أحد القادة الفرنسيين الآخرين لإحصاء الأعداء بالطريقة الفرنسية ولكنه كان مخدوعًا في حساباته لأن كل من فرسان القوات الملكية كان يحمل رايتين، إحداهما معه بينما الأخرى كانت مع أمتعته بحيث تبدو عربات الامتعة مع الحراس الذين كانوا يتبعونها والتي تشكل مجموعة منفصلة في المؤخرة وكأنها جيش آخر. لذا أصبح معسكر الأمير لويس في حالة شك ما هو الأفضل للقيام به. بعد ذلك عمدوا الى تأمين بوابات المدينة وتعيين حراس لها (SISMONDI, 1823, p. 648; SYMPSON, 1906, pp. 74-75)

لذا ارسل الوصي فولكس دي بريوت مع أتباعه وجميع رماة الأقواس للقلعة ، في حين ذهب الجيش الرئيسي إلى البوابة الشمالية للمدينة المعروفة باسم بورتا نوفا (Porta Nova) الرومانية الأقرب للقلعة، هناك قابلهم جيش الأمير لويس برمي الحجارة الثقيلة عليهم، لكن فولكس دي بريوت وبصحبة قواته استطاع مفاجأة جيش الأمير لويس عندما رأوهم فجأة على جدران القلعة وأبراجها مليئة برجال القوس والنشاب حيث تعرضوا في غمضة عين الى وابل من السهام ، فاصبح الفرسان والبارونات وخيولهم في حالة فزع كبير، أدى ذلك المشهد إلى إغراء فولكس دي بريوت بالاندفاع من البوابة الشرقية للقلعة إلى وسطها مع بعض أتباعه

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

الشخصيين، الا انه تم محاصرته والقبض عليه بسرعة، لكن رجاله المقاتلين أنقذوه بشجاعة. (SYMPSON, 1906, pp. 75-76) ليتمكن بعد ذلك الجيش الملكي بقيادة الوصي من اقتحام المدينة من خلال البوابة الشمالية وحدث قتال عنيف بين الطرفيين في كل مكان في المدينة حتى تحت شرفة الكنيسة ، وامتد القتال إلى حافة التل الذي كانت تقع عليه المدينة تقريبًا، حيث دافع كونت بيرش الذي كان شاباً لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره المحاط بالأعداء عن نفسه في المقبرة لمدة طويلة دون الرغبة في الاستسلام، في المقابل قاتل الوصي الذي نسي ان عمره في الثمانين وكأنه لازال شابا (DUTAILLIS, 1894, p. 151)وعلى الرغم من قلة أعداد المشاركين في هذه المعركة من الجانبين، استمر القتال من الساعة الثامنة صباحًا حتى الساعة الثالثة بعد الظهر تقريبًا، وقد طال أمدها بسبب الإصرار العنيد للطرفين اللذين شعرا على حد سواء أن مصير إنكلترا كان له دور في نتيجتها، فضلا عن الشوارع شديدة الانحدار والضيقة في مدينة مثل لينكولن، وهكذا أصبحت معركة من النوع الملحمي للعالم القديم مليئة بالحوادث المنفصلة والمواجهات الفردية، وربما كان هذا الطابع الغريب إلى جانب الكمية الصغيرة للغاية من إراقة الدماء والخسائر في الأرواح التي حدثت فيها (NORGATE, 1912, pp. 40-41)

ومع استمرار المعركة بدأت القوات الانجلو فرنسية بفقدان الأرض واخذوا بالتراجع إلى أسفل التل ، فأصاب الضعف البارونات وتم أسر أعداد كبيرة من جنودهم ، لذا اندفع فرسان الملك في القتال واحاطوا كونت بيرش بالكامل وبما أنه لم يتمكن من مقاومة قوتهم طلبوا منه أن يستسلم لينجو بحياته، لكنه أقسم أنه لن يستسلم للإنكليز الذين عدهم خونة لملكهم الشرعي(الأمير لويس) وعندما سمع احد الفرسان الانكليز كلامه هذا اندفع نحوه وضربه بالرمح على عينه فاخترق رأسه ليسقط على الأرض ميتا (SYMPSON, 1906, pp. 76-77)مما اثار رفاقه واندفعوا على الفور إلى أسفل التل وانضموا مرة أخرى إلى الجزء الأكبر من القوات الانجلو فرنسية، الا انهم تعرضوا الى هجوم من قبل ايرل تشيستر وقواته، وقبل أن يصلوا إلى قمة التل واجههم الوصي وتم دفعهم مرة أخرى إلى أسفل المنحدر بعد معركة عنيدة أخرى وهذه المرة تمت مطاردتهم مباشرة خارج المدينة وعبر بوابتها الجنوبية وخارج المدينة نفسها (Mcjlynn, 2011, p. 214)فتم أسر ما يقارب أربعمائة فارس واغلب البارونات سواء الفرنسيين أو الإنكليز من المعسكر المعارض وعلى راسهم إيرل وينشستر ساير دي كوينسي وابنه روبرت وايرل هيريفورد جيلبرت دي كليرGilbert de Clare وابنه وكذلك البارون روبرت فيتز والتر. (RAMSAY, 1908, p. 11; painter, 1933, p. 219)

وأخيرًا استدار الباقون وهربوا إلى البوابة الخارجية أو الأبعد لمدينة لينكولن. قتل في هذه المعركة خمسة رجال فقط وهم كونت بيرش واثنان من فرسانه فضلا عن قاتل بيرش ريجينالد كروك ومقاتل غير معروف بينما العدد الأكبر من القتلى كان من نصيب جنود المشاة اثناء هروبهم خارج لينكولن على يد سكان الريف الذين خرجوا عليهم بالسيوف والعصي. (Mcjlynn, 2011, pp. 214-215)

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

تعامل الملكيون مع هذا النصر بتعال وقسوة اذ لم يكتفوا بالاستيلاء على أمتعة النبلاء الفرنسيين والبارونات المعارضين وممتلكاتهم الثمينة التي وجدوها مكدسة في العربات في بعض الشوارع فحسب، بل نهبوا المدينة بأكملها، إلى أقصى شيء، ولم تكن كنيسة المدينة بعيدة عن ذلك فقد سرقوها وكسروا الصناديق وحملوا الأطباق والمجوهرات والثياب والأموال وقدرت جميعها بأحد عشر ألف مارك، وكان كل ذلك بدعم وتوجيه من المندوب البابوي بحجة ان المدينة وسكانها قد فرض عليها الحرمان الكنسي. كما هربت نساء كثيرات من المدينة مع أطفالهن وأمتعتهن المنزلية وحاولن الهروب في القوارب لتجنب العار والاغتصاب، ولكن بسبب اكتظاظهن وجهلهن بالتجديف انقلبت جميع السفن الصغيرة وغرق ركابها، وأصبحت البضائع غنيمة لكل من يخرجها من قاع النهر. (SISMONDI, 1823, p. 649; Mcjlynn, 2011, p. 215) وأطلق على هذه المعركة اسم (معرض لينكولن) او المعرض سخريةً من الأمير لويس والبارونات وربما أيضًا بسبب الكم الكبير من الغنائم التي حصل عليها الملكيون. (SYMPSON, 1906, p. 78)

يتضح من احداث معركة لينكولن ان حركة المعارضة لم تقتصر على البارونات وانما شملت فئات واسعة من مواطني سكان بلدات انكلترا كانوا مؤيدين لها، لكن في المقابل ان القوة العسكرية والقتالية لتلك الحركة اخذت تضعف بسبب أخطاء في القيادة العسكرية للأمير لويس فضلا عن النقص في العدة العسكرية.

عندما علم الامير لويس بهزيمة قواته في لينكولن، امر برفع حصار دوفر واستقر في لندن وعند وصول فرسانه الهاربين من ارض المعركة إلى لندن وعددهم بحدود مئتي فارس وبخهم لأنهم جبنوا ولم يواصلوا القتال. (SISMONDI, 1823, p. 470) في المقابل سارع الوصي إلى متابعة انتصاره، وكان قبل أن يغادر لينكولن أمر جيشه بإعادة التجمع في تشيرتسي (Chertsey) في غضون أسبوعين على أمل أن يؤدي استعراض القوة إلى إقناع الامير لويس بالتصالح. ولم تكن آماله تذهب سدى فقد أرسل الأمير الفرنسي كونت بريتاني وكونت نيفرز (Nevers) إلى تشيرتسي لفتح مفاوضات مع الوصي. وتم اللقاء بين الطرفين حيث مثل كل طرف أربعة اعضاء ونجح هؤلاء المفاوضون في وضع معاهدة مرضية للجميع باستثناء المندوب البابوي الذي لم يكن على استعداد للسماح لأنصار الامير لويس من رجال الدين بمشاركة العفو العام المنصوص عليه في المعاهدة المقترحة. كما فعل الامير لويس الذي رفض التخلي عن أنصاره من رجال الدين الإنكليز، فلم تسفر المفاوضات عن شيء. وكان المندوب البابوي يرغب في مهاجمة لندن على الفور، ولكن بقية المعسكر الملكي لم يكن يرغب في ذلك. وكان من نتائج معركة لينكولن عودة أكثر من مائة وخمسين فارسًا وبارونًا ليدينوا بالولاء مرة أخرى للتاج الانكليزي خلال شهري حزيران وتموز من عام ١٢١٧ مما أضاف قوة للمعسكر الملكي. (painter, 1933, pp. 219-220)

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

-معركة ساندويتش(sandwich)

كانت فرصة الامير لويس الوحيدة لتحقيق نصر نهائي تكمن في وصول التعزيزات من فرنسا، لذا بعث مرة أخرى إلى والده الملك فيليب ليطلب منه المساعدة التي كان يحتاجها بشدة وعلى الرغم من حزنه الشديد بسبب النكسات التي تعرض لها ابنه لم يجرؤ على مساعدته علناً خوفاً من غضب البابا لكنه ترك زوجة ابنه بلانش قشتالة تجمع على عجل عدد من القوات لأرسالهم إلى زوجها، وبالفعل استطاعت ان ترسل اسطولاً الى انكلترا كان يتألف من نحو ثمانين سفينة بأحجام مختلفة، عشر منها سفن حربية كبيرة وأربع مليئة بالفرسان وستة بالرجال المسلحين، وحملت السفن الصغيرة المعدات والبضائع الأخرى، وكان من بين الفرسان بعض نبلاء فرنسا فضلا عن الأكثر شهرة وعددهم ستة وثلاثون وعلى راسهم القرصان يوستاس الراهب (Eustace the monk) الذي كان يقود الأسطول بأكمله ، الى جانب روبرت دي كورتناي (Robert de Courtenai) وكانت السفن تتجه نحو مصب نهر التايمز، (SISMONDI, 1823, pp. 470-471; MARTIN, 1859, p. 292) وعلى الجانب الإنكليزي استدعى الوصي من دوفر رجال موانئ سينك Sync للاستعداد مع اسلحتهم وتجميع سفنهم في ساندويتش وهي احدى موانئ سينك في جنوب شرق انكلترا، وكان الوصي المحارب المسن حريصًا على الخروج شخصيًا ومواجهة الفرنسيين في البحر، لكن رجاله رفضوا ذلك خشية عليه من الموت في وقت حساس تمر به إنكلترا، وفي عشية يوم الأربعاء ٢٣ آب ١٢١٧ كان المعسكر الملكي بالقرب من كانتربري وقضوا الليلة هناك وفي وقت مبكر من فجر ٢٤ اب ساروا إلى ساندويتش. (NORGATE, 1912, p. 50) وفي ذات الوقت كان الأسطول الفرنسي على مسافة قريبة من كاليه وفي طريقه الى دخول التايمز (Clowes, 1897, p. 187)

وفي الساعة الحادية عشرة صباحا كان الأسطول الإنكليزي جاهزًا لكنه كان يتألف من ثمانية عشر سفينة أو على أقصى تقدير اثنتين وعشرين سفينة كبيرة مع بعض السفن الصغيرة التي يصل عددها إلى حوالي عشرين سفينة ،في المقابل أثار مشهد الأسطول الفرنسي المتفوق عددا وعدة رعبًا شديدًا في نفوس البحارة الإنكليز (; painter, 1933, p. 221) لدرجة أنهم تركوا سفنهم وأشرعتها مرفوعة بالكامل ولجأوا إلى قواربهم الصغيرة، ليناشدهم الوصي مرة أخرى لأنه هو الوحيد الذي يمكنه ثنيهم عن ذلك وعرض عليهم مجددا أن يذهب معهم الا انهم رفضوا ذلك، ثم من خلال وعظه المميز أخجل البحارة حيث خاطبهم قائلا (لقد أعطانا الله نصرا واحدا على الفرنسيين في الأرض والآن يأتون مرة أخرى وفي البحر هذه المرة ونحن الصالحون وسوف نهزم أعداء الله) فاكتسب البحارة روحًا جديدة للقتال وسرعان ما امتلأت السفن بأتباع الوصي الذي بقي على الشاطئ. (Clowes, 1897, p. 187)

في ذات الوقت كان هوبرت دي بيرغ يراقب الوضع من قلعة دوفر وعلى تواصل مستمر مع بحارة موانئ سينك، ليقرر بعد ذلك الانضمام الى الاسطول المقاتل عن طريق البحر قادمًا من دوفر ، وكان لديه حوالي ستة عشرة سفينة كبيرة وعشرين سفينة صغيرة وتولى قيادتها

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

وبمجرد وصول الأسطول (Thompson, 1879, p. 85; J.G.EDGAr, 1908, p. 218) الفرنسي الى ساندويتش عمل الاسطول الإنكليزي الى عدم المواجهة واخذ بالإبحار بعيدا عن الاسطول الفرنسي في محاولة للتمويه بعد ذلك استداروا للهجوم، وكانت سفن الأسطول الإنكليزي المسلحة على الرغم من قلة عددها قد نفذت هجمات كبيرة على بعض السفن الفرنسية حيث تثقبها بمناقيرها الحديدية وتغرقها، علاوة على ذلك كان فيليب دوبيني ومعه مجموعة من رماة الأقواس الذين تسببت سهامهم في إحداث الفوضى في صفوف الفرنسيين واصابتهم إصابات قاتلة. (MARTIN, 1859, p. 293)

ومما ساعد الإنكليز على هذا التفوق انهم اعتادوا على القتال في البحار الضيقة ، في حين أن الفرنسيين لم تكن لهم تلك المهارة في القتال البحري، وكان اهم هدف للإنكليز هي سفينة يوستاس الراهب قائد الاسطول الفرنسي التي كانت أكبر وأفضل سفينة في ذلك الأسطول لكنها كانت مثقلة حيث كانت تحمل إلى جانب حمولتها من الرجال بعض الخيول القيمة للأمير لويس ومنجنيقًا، ونتيجة لذلك فأن الأمواج كادت أن تغمر سطحها. (J.G.EDGAr, 1908, p. 189 p219) مما دفع ريتشارد ابن الملك جون للقفز مع رجاله على متن تلك السفينة وبيدهم فؤوس ليتم الاستيلاء على سفينة يوستاس وكل من كان على متنها وذكرت بعض المصادر التاريخية انه تم القبض على الفرنسيين مثل الطيور ليرفع الإنكليز صرخة النصر وفي ضوء ذلك المشهد هربت السفن الفرنسية المتبقية، الا ان الانكليز طاردوهم طوال طريق العودة إلى كاليه منزلين بهم خسائر فادحة حيث لم يصل الى ذلك الميناء سوى خمس عشرة سفينة فقط. (NORGATE, 1912, p. 52)

وعندما انتهى القتال والمطاردة وجمع الغنائم الكبيرة في ساندويتش وبعد بحث طويل تم العثور على القرصان يوستاس الراهب مختبئًا في مخزن سفينته ، الذي توسل وعرض أن يمنح آسريه عشرة آلاف مارك وأن يخدم الملك هنري بإخلاص إذا منحوه حياته، لكن هذا لا يمكن أن يقبله الإنكليز ليس فقط كقائد للأسطول المعادي ولكن أيضًا بسب أفعاله السيئة في البر والبحر و الأذى الذي أحدثه لهم، وكذلك لأن إخوته استولوا على بعض الجزر فكانت اعمال القرصنة التي مارسها هو واخوته مدمرة للتجارة الإنجليزية، مما دفع ريتشارد ابن الملك جون الى ضربه بالسيف فقطع رأسه، ليوضع بعد ذلك الرأس المقطوع على سن الرمح وتم التجوال به بين الناس في جميع انحاء كاتنبيري الذين عاشوا لمدة طويلة في رعب من ذلك القرصان الذي لا يرحم. (Clowes, 1897, p. 189; J.G.EDGAr, 1908, p. 220)

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

المبحث الثالث

معاهدة السلام والاعمال الأخيرة للوصي وليام مارشال

معاهدة السلام:

مما لا شك فيه ان الهزائم التي تعرض لها الأمير لويس في معركتي لينكولن وساندويش قد انهكته مع حلفائه الإنكليز وحرمته من قوة كبيرة كان يعتمد عليها، وتركت الغزو الفرنسي لإنكلترا في مهب الريح.

وصلت أخبار كارثة ساندويتش إلى الامير لويس الذي كان في العاصمة بعد يومين أي مساء يوم السبت ٢٦ أب ١٢١٧، وكان ردة فعله متوقعة حيث كان غاضبًا جدًا ومكتئبًا وحزينًا للغاية ويائس من المستقبل ولم يعرف إلى أين يتجه، ولم يعد له أي سبيل سوى طلب السلام وبذلك أصبح الوصي مستعدًا للتفكير في ضم كل قواته لاستثمار تلك الانتصارات، حيث أصبح من الممكن الآن حصار لندن عن طريق البر والبحر لاسيما بعد أن تم القضاء بشكل نهائي على تهديد قوة الإغاثة التي طال انتظارها من فرنسا. (Mcjlynn, 2011, p. 233)

لذلك أرسل الأمير لويس في ٢٨ اب ١٢١٧ ابن عمه روبرت كونت درو (Robert Count Dreux) الذي يثق به كثيرا إلى الوصي في روتشستر لمعرفة ما إذا كان الوصي سيفكر في صنع السلام، في المقابل احتجز الوصي روبرت كونت درو كرهينة، وأرسل روبرت دي كورتيناي (Robert de Courtenay) أحد الفرسان الفرنسيين الذي تم القبض عليه في ساندويتش ليحمل إجابته إلى الامير لويس، ومن الواضح أن الرد كان إيجابيًا حيث طلب الأمير الفرنسي على الفور إجراء مقابلة شخصية مع الوصي، الا انه في المعسكر الملكي كان هناك اختلاف في الرأي حول أفضل مسار يجب اتباعه، كان البعض غير راغبين في التفاوض مع الأمير لويس وأرادوا فرض حصار على لندن على أمل الاستيلاء على جيشه بأكمله، في حين حث البعض الاخر على تسريع رحيل الفرنسيين حتى لو اضطر اعطائهم بعض الأموال، ويبدو أن الوصي كان مترددا في الاختيار، الا انه في ١ أيلول ١٢١٧ أمر بارونات موانئ سينك بتركيز سفنهم في نهر التايمز، وربما كان القصد من هذه المناورة استرضاء الطرف الذي كان يرغب في مواصلة القتال فضلا عن كونه تهديد لإجبار الأمير لويس على قبول شروط السلام. (painter, 1933, pp. 222-223)

لكنه أبقى الخيار العسكري مفتوحًا إلى حد كبير من خلال الضغط على الامير لويس بفرضه حصار عسكري كامل على لندن من البر والبحر، وكان من الواضح أنه إذا لم يقبل الأمير لويس ما يرغب به الوصي وعلى الفور فسوف يتضور جوعًا مع رفاقه في السلاح ويدفعه إلى الاستسلام غير المشروط، لذا اتخذ مسارًا لم يكن أكثر أمانًا فحسب بل كان أيضًا أكثر تكريمًا لنفسه ولخصومه عندما التقى بالوصي خارج لندن في ٥ ايلول١٢١٧ طالبًا منه ان يملي شروطه الخاصة بشرط أن لا تهينه ولا تسيء إلى رفاقه في السلاح، ليعود بعد ذلك إلى لندن وانتظر هناك بفارغ الصبر متوقعًا سماع مقترحات من الوصي حول كيفية دفع عملية السلام إلى الأمام، لكن لم ترد أي كلمة من الوصي حتى ان الأمير لويس شك أن المفاوضات

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

كانت تهدف إلى إضعاف موقفه بشكل أكبر، وكان من الممكن أن يزداد ضعفًا مع مرور كل يوم، وفي يوم السبت ٩ ايلول عقد اجتماعا من المقربين منه للتباحث وكان مدركًا لموقفه العسكري المتدهور في العاصمة ومنزعجًا جدًا من تآكل الدعم داخل لندن، وبعد ان دب الياس في نفسه قرر القيام بالمخاطرة الكبيرة باتخاذه قرار الحرب لذا اعد رجاله للمعركة الفاصلة. (Mcjlynn, 2011, pp. 235-236)

الا انه في ليلة ذلك اليوم وفي اللحظة الأخيرة وصلت رسالة من الوصي يطلب فيها هدنة لمدة يوم وطلب إرسال موفد للتحاور معه بالإضافة الى مجلس الملك، وافق الامير لويس على هذين الطلبين وتم بعد ذلك تحديد موعد للتفاوض وهو يوم الثلاثاء ١٢ أيلول مع ضمان تمديد الهدنة حتى الخميس ١٤ ايلول من قبل الملكة وبعض اقطاب مجلس الملك، عاد الموفد يوم الاثنين ١١ ايلول وأخبر الامير لويس بما حصل عليه وكان من الواضح أنه كان شيئًا ذا أهمية كبيرة لأنه استدعى على الفور مجلسه بالكامل وبارونات إنكلترا الذين كانوا معه فضلا عن اعيان المواطنين وطلب مشورتهم حيث ان ما أحضره الموفد كان العرض المحدد للشروط وابلغ الأمير لويس بذلك وان عليه الموافقة عليها لكي يتم تأمين مغادرة آمنة له ولرجاله وبخلاف ذلك فانه سيتعرض للهلاك ، لذا وافق على الشروط جميعا. (NORGATE, 1912, p. 56; Mcjlynn, 2011, p. 236)

وكانت الشروط تنص على ما يلي:

- في المقام الأول يتمتع أتباع الأمير لويس وحلفاؤه في انكلترا واتباع الملك هنري الثالث في لندن والمدن الأخرى جميعًا بحقوقهم وأراضيهم كما كانت لهم في بداية الحرب. (GUIZOT, 1825, p. 328) الا ان هذا البند كان مقيدا لا يسري على الجميع، اذ نص احد البنود وبشدة انه يسري على الأشخاص العاديين فقط من بين أتباع الامير لويس في حين ان رجال الدين من اتباعه ليس من حقهم استرداد مواقعهم ومسؤولياتهم الكنسية ويترك التعامل معهم الى المندوب البابوي على النحو الذي يراه مناسبًا. (Carpenter, 1990, pp. 44-45)

- يتمتع جميع سكان المدن بكامل حرياتهم وممارسة عاداتهم دون عائق. (SISMONDI, 1823, p. 472)

- يتم إطلاق سراح السجناء من كلا الجانبين الذين تم أسرهم منذ مجيء الأمير لويس إلى إنكلترا اما أولئك الذين تم أسرهم سابقًا أي قبل مجيء الأمير لويس سيتم إطلاق سراحهم إذا أقسم ثلاثة أشخاص يختارهم مجلس الملك هنري من مجلس الامير لويس على أنهم رجال الامير لويس في يوم القبض عليهم. (GUIZOT, 1825, p. 328; NORGATE, 1912, p. 57)

-بالنسبة لجميع السجناء سيتم الاحتفاظ بالفدية التي تم دفعها ومن لم يدفع الفدية وكانت مدة الفدية قد انقضت يعد قد تم دفعها ويُطلق سراحه.

-على جميع السجناء الإنكليز وغيرهم من الرعايا الإنكليز من أبناء المملكة الذين كانوا معارضين للملك جون اعلان قسم الولاء والإخلاص للملك هنري الثالث وفقا للمواثيق والاعراف لمملكة إنكلترا.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

- تعاد جميع المدن والبلدات والقلاع والأراضي التي تم الاستيلاء عليها بالقوة في تلك الحرب أيًا كان مكانها في المملكة الى ملك إنكلترا أو المالكين الآخرين من رعاياه. (GUIZOT, 1825, p. 329; MARTIN, 1859, p. 294)

- على الامير لويس أن يرسل رسائل إلى إخوة يوستاس الراهب يأمرهم بإعادة الجزر (بعض جزر القنال) التي استولى عليها يوستاس إلى الملك هنري الثالث وإذا فشلوا في القيام بذلك يقع على الامير لويس أن يصادر تلك الأراضي التي سيطروا عليها وإذا كانوا لا يزالون متمردين فانهم خارج هذا السلام.

- على كل من الامير لويس والملك هنري الثالث إرسال نسخة من معاهدة السلام إلى الملك ألكسندر ملك اسكتلندا وكان على الاخير إذا رغب في الانضمام الى ذلك السلام أن يعيد جميع الأسرى والقلاع والأراضي التي استولى عليها أثناء الحرب إلى ملك انكلترا وسيفعل الاخير الشيء نفسه بالنسبة لملك اسكتلندا

- على الامير لويس أن يرسل نسخة بنفس الشروط إلى الأمير ليويلين وأمراء ويلز الآخرين.

- على الأمير لويس أن يتخلى عن المطالبة باي وعود بالمساعدة وعهود وتحالفات سابقة وقسم ولاء له من جميع بارونات ورجال مملكة إنكلترا وألا ينشئ أبدًا بسبب هذه الحرب أي اتحاد قد يسبب في أي وقت ضررًا للملك الإنكليزي او إلى رجاله نتيجة للحرب آنذاك.

- على بارونات إنكلترا أن يقسموا للملك هنري الثالث أنهم لن يدخلوا في أي اتحاد او تحالف ضده أو ضد ورثته مع الامير لويس أو مع أي شخص آخر.

-يجب على الامير لويس أن يؤدي يمينه الجسدي ورجاله معه وأولئك الذين يختارهم مجلس الملك الانكليزي، أن يتعهدوا كتابيًا وبشكل فردي بأنهم سيحافظون على هذا السلام بثبات وإخلاص وكان على الامير لويس أن يبذل قصارى جهده للحصول على تأكيد ذلك من البابا ولإضفاء صلابة دائمة على جميع هذه البنود تم توقيعها من قبل المندوب البابوي والملك هنري الثالث وكذلك الوصي فضلا عن كبار بارونات إنكلترا. (GUIZOT, 1825, pp. 329-331; painter, 1933, p. 223)

وكانت الخطوة التالية هي إضفاء الطابع الرسمي على عملية السلام، لذا أصبحت مسألة مؤتمر اليوم التالي أمراً مفروغاً منه، فعُقد في جزيرة صغيرة في نهر التايمز مقابل كينغستون Kingston في يوم ١٢ ايلول١٢١٧ حيث استقر الملكيون على أحد جانبي النهر والفرنسيون على الجانب الآخر، ثم استقل الامير لويس ومستشاروه قاربًا وتم تجديفهم إلى الجزيرة حيث وجدوا الملك هنري الثالث والملكة والدته والوصي وكذلك المندوب البابوي الذي كان يرتدي ملابس قرمزية فضلا عن الأعضاء الآخرين في مجلس الملك الإنكليزي. وهناك أقسم الامير لويس ورجاله على الأناجيل، أولاً وقبل كل شيء أنهم سيقفون مع حكم الكنيسة ويكونون مخلصين للكنيسة والبابا من ذلك اليوم فصاعدًا، ثم أقسموا على شروط السلام التي تم تحديدها سابقا، بعد ذلك وضع الملك هنري الثالث يده على الكتاب المقدس وأقسم مع المندوب البابوي والوصي على أن يعيدوا إلى بارونات إنكلترا وجميع الرجال الآخرين في المملكة جميع حقوقهم

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

وتراثهم مع جميع الحريات المطلوبة سابقًا والتي من أجلها نشأ الخلاف بين الملك جون والبارونات. (NORGATE, 1912, pp. 58-59; Mcjlynn, 2011, p. 236)

علاوة على ذلك وبموجب ترتيب لم يظهر في النص الفعلي للمعاهدة، يمكن ان يطلق عليها الاتفاقيات التكميلية ، قدم الامير لويس وعدًا بأنه سيحاول إقناع والده بإعادة الممتلكات التي فقدتها انكلترا أو أنه سيفعل ذلك بنفسه بمجرد أن يصبح ملكًا، في المقابل وُعد الأمير لويس ان يعطى ١٠,٠٠٠ مارك كتعويض عن الضرر الذي لحق به في إنكلترا لتسريع عملية خروجه من البلاد ووضع الوصي أراضيه النورماندية كضمان للدفع، وتم تسليم ٤٠٠٠ مارك دفعة واحدة إلى الامير لويس على الفور حيث تم تجميع معظم الأموال خلال ذلك العام اذ ساعدت ضريبة رسوم الفرسان على جمع تلك الاموال وقد بلغ هذا المبلغ عشرة أضعاف الجزية السنوية التي سلمها الملك جون للبابا وما يقرب من ربع الدخل السنوي للتاج الانكليزي. (Carpenter, 1990, p. 45; Mcjlynn, 2011, p. 237)

ومن الواضح أن الاتفاقيات التكميلية كان يسعى من خلالها الوصي الى أكثر من مجرد تصفية ثورة البارونات والغزو الفرنسي، حيث كان يطمح إلى إقامة سلام رسمي بين الملكين الفرنسي والإنكليزي من خلال تسوية أهم الامور التي كانت محل خلاف بينهما. (painter, 1933, p. 224) الا ان ذلك لم يمنع تأجيل تبرئة الامير لويس وأتباعه إلى اليوم التالي لأن المندوب البابوي أعلن أنه لا ينبغي أن يحصل الامير لويس على أي تبرئة إلا إذا اعلن ندمه وجاء حافيًا ومرتديًا ثوب من الصوف وهو الزي المناسب للتائب، الا ان الفرنسيين توسلوا بشدة حتى يُسمح لسيدهم بوضع رداءه الخاص فوق الثوب الصوفي وقد وافق المندوب البابوي على ذلك، وبالفعل في اليوم التالي الأربعاء ١٣ ايلول حظر الامير لويس مرة أخرى على الجزيرة مرتديًا عباءة فوق ملابسه الصوفية في حين ارتدى المندوب والأساقفة قلنساتهم الحريرية وبرأوا الامير لويس وجميع رجاله باستثناء رجال الدين من اتباعه حيث ترك مصيرهم لحكم البابا فأُجبروا على الانسحاب من الجزيرة بينما كان الغفران يحدث. (GABOURD, 1856, p. 174; DAVIS, 1905, p. 432; Carpenter, 1990, p. 44)

وفي يوم الخميس ١٤ أيلول ١٢١٧ أُعلن رسميًا عن إبرام الصلح باسم الملك وفي يوم الأحد ١٧ ايلول ذهب المندوب البابوبي إلى دير ميرتون(Merton) مع العديد من الأساقفة والإيرلات والبارونات والفرسان الإنكليز وفي يوم ٢٢ ايلول جاء الأمير لويس إلى ميرتون حيث منحه المندوب البابوي الغفران مرة أخرى ليصحبه بعد ذلك إلى دوفر ومن هناك أبحر عائدا إلى بلده فرنسا. (NORGATE, 1912, p. 60)

وبعد ان ساد السلام أرسل المندوب البابوي مفوضيه إلى كل مكان في انكلترا لجمع أسماء الجناة من رجال الدين وعوقب العديد منهم بالحرمان من مزاياهم ووظائفهم الدينية وعلى الرغم من أنه سُمح للأغلبية بالتصالح من خلال السفر إلى روما والحصول على حل من البابا إلا أن أولئك الذين كانوا أبرز المعارضين من رجال الدين وعلى راسهم ستيفن لانغتون (Stephen Langton) رئيس أساقفة كانتربري حُكم عليهم بالنفي إلى أجل غير مسمى . (DAVIS,

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

(1905, p. 432 واعتقد بعض الباحثين أن الشروط التي فرضها الوصي وليام مارشال سهلة للغاية متهمينه بالتسامح مع الأمير لويس لتجنب مواجهة محرجة مع ابن سيده الإقطاعي ملك فرنسا مما يعرض ممتلكات زوجته النورماندية للخطر . (Brooks, 2014, p. 271)وفي حقيقة الامر نرى ان هذا اتهام خطير للوصي بتفضيله مصلحته الشخصية على مصلحة بلاده ونعتقد انه مبالغ فيه الى حد كبير.

-الاعمال الأخيرة لوليام المارشال

كانت شروط معاهدة السلام معتدلة ولكن كان من الضروري وضعها موضع التنفيذ، مما يعني إعادة الأراضي الى أصحابها من المعارضين الذين كانوا يمتلكونها قبل الحرب واتخاذ قرار بشأن التعديلات التي يجب إجراؤها على الماكنا كارتا وقد يؤدي الفشل في إحراز تقدم في هذه القضايا إلى تجدد الصراعات الأهلية، لاسيما وإن آثار الخلاف السابق كانت لا تزال تجد متنفسًا عند بعض أوساط المجتمع الإنكليزي ،في حين كانت المهمة الثانية للوصي هي استعادة السلطة وإعادة بناء هيكل حكومة الملك التي انهارت أثناء الحرب، لذلك كانت هذه اهم القضايا التي تم طرحها عندما انعقد المجلس الملكي الكبير في وستمنستر للمدة من يوم ٢١ تشرين الأول حتى ٨ تشرين الثاني١٢١٧ واظهرت جلسات ذلك المجلس مدى التحول اللافت لصالح الملك هنري الثالث من خلال حضور عدد كبير من المعارضين السابقين الذين تم استدعاؤهم للحضور بما في ذلك روبرت فيتز والتر إيرل وينشستر وجيلبرت دي كلير وجيلبرت دي جانت وغيرهم الذين اقسموا يمين الولاء للملك هنري وكان عدد منهم مهددين بالحرمان من ممتلكاتهم إذا نكثوا بيمينهم. (Carpenter, 1990, p. 50 P.56; Beem, 2008, p. 22)

ليستمر اصدار الاوامر القضائية حيث صدر ١٠٠٠ امر قضائي باستعادة الممتلكات المصادرة للمعارضين السابقين خلال أشهر أيلول وتشرين الأول وتشرين الثاني من عام ١٢١٧ مقابل ان يقسم كل واحد منهم قسم الولاء للملك هنري الثالث ويتعهد من خلال ميثاق بعدم معارضته مستقبلا (painter, 1933, p. 230)وخلال انعقاد المجلس الملكي وتحديدا في يوم الأحد ٢٩ تشرين الاول ١٢١٧ دخل الملك الصغير عاصمته بعد عام ويوم من تتويجه وحظي باستقبال مهيب وتم تقديم الولاء له من قبل المواطنين والعديد من المعارضين السابقين الآخرين (NORGATE, 1912, p. 78) الذين طالبوا بتنفيذ الوعود فيما يتعلق بالتعديلات على ميثاق الماكنا كارتا وبالفعل صدرت نسخة جديدة منه في٦ تشرين الثاني ١٢١٧ (Carpenter, 1990, p. 57) بشكل مختلف عن اصداري عامي ١٢١٥ -١٢١٦ كونه افرد ميثاقا خاصا بالغابات الذي نص ان تبقى غابات البلاد مع اراضي البلاط الملكي، كما انه كان يصب في صالح البارونات لاسيما في مسالة الضرائب حيث أصبحت لا تفرض عليهم الا بعد المصادقة العامة عليها. (محمد، ٢٠٠٨، الصفحات ١٠٦-١٠٧)

-المشكلة المالية

وكانت المشكلة الأكثر إلحاحًا التي واجهت حكومة الوصي فيما يتعلق بإعادة تنظيم النظام الإداري هي إعادة تأهيل المالية الملكية، حيث كان على حكومة الوصي أن تدفع التعويض

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

المتبقي إلى الامير لويس وتفي بالتزامات التاج المالية الأخرى، ووفقا لذلك فلا يجب تأمين الإيرادات المنتظمة للملك فحسب بل يجب أيضًا جمع أموال إضافية عن طريق الضرائب وهذا يتطلب إعادة تنظيم النظام المالي الملكي وأخذ المساعدات من أتباع الملك وحصص من ممتلكاته، في حين كانت خزينة الدولة خاوية اذ لم يعقد مجلس الخزانة لتلقي الإيرادات المالية من عمد المقاطعات منذ عام ١٢١٤ ومنذ ربيع عام ١٢١٥ كان النظام المالي بأكمله في حالة من الفوضى، (painter, 1933, p. 227) وخلال الحرب توقفت عمليات التحصيل المالي من المقاطعات بشكل أساسي وكان البدء بها مرة أخرى عملية صعبة وبطيئة، حيث تم أعادة عمل مجلس الخزانة في تشرين الثاني١٢١٧وكان من المفترض ان يرأس جلسات ذلك المجلس هيوبرت دي بيرغ بصفته قاضيًا الا ان غيابه جعل الوصي وأسقف وينشستر يترأسان ذلك المجلس، وبعد وقت قصير اتضح ان حساب عام للمدة خلال الحرب سيكون مستحيلاً وبناءً على ذلك بلغ متوسط الإيرادات الملكية في عام ١٢١٧ ٨٠٠٠ جنيه إسترليني فقط أي ثلث إيرادات التي تحققت في السنة الأولى من حكم الملك جون ،وبشكل عام كانت الأزمة المالية ذات حدين اذ لم يقتصر الأمر على أن الفشل في زيادة الإيرادات أدى إلى تأخير بعض المكافآت التي قد يتوقعها أتباع الملك الجديد مقابل ولائهم له بل انعكس ذلك على إنتاج العملات المعدنية اذ شهدت انخفاضا حادا بين منتصف تشرين الثاني ١٢١٧ وأوائل شباط ١٢١٨ حيث حققت دار سك العملة في لندن حوالي ٣٠٠٠ جنيه إسترليني وكان هذا رقمًا منخفضًا بشكل كبير مقارنة بإنتاج العملات المعدنية قبل أربع سنوات. (Beem, 2008, p. 23)وعمل الوصي على اعادة تنظيم النظام القضائي حيث استأنف قضاة الملك عملهم في جميع أنحاء مقاطعات إنكلترا. (Weatherly, 2001, p. 93)

-العلاقة مع اسكتلندا وويلز

ومن تبعات الحرب التي كان على الوصي معالجتها هي العلاقة مع اسكتلندا وويلز حيث نصت معاهدة السلام (كينغستون/لامبيث) على أنه إذا رغب الملك ألكسندر ملك اسكتلندا وليويلين أمير شمال ويلز في الانضمام إلى السلام فيجب عليهم استعادة القلاع والأراضي التي استولوا عليها أثناء الحرب وكذلك الأسرى الإنكليز عندهم(مثلما ذكرنا سابقا)، حيث استغل الإسكندر ملك اسكتلندا الاضطرابات في إنكلترا للاستيلاء على بلدة وقلعة كارلايل (Carlisle) في حين استحوذ ليويلين فعليًا على جزء كبير من جنوب غرب ويلز بالإضافة إلى جنوب بوويز (Powys)ومونتغمري (Montgomery)، وبعد نهاية انعقاد المجلس الملكي الكبير في ٨ تشرين الثاني ١٢١٧ انطلق الوصي إلى غلوستر لإجراء مفاوضات مع الأمير الويلزي على أمل أن يأتي إلى نورثهامبتون لتقديم الولاء للملك هنري الثالث بعد أن تمت تبرئته من الحرمان الكنسي لكن ليويلين رفض الحضور، وفي ذات الاطار طالب الوصي الملك الاسكتلندي وبشكل قاطع استعادة الأراضي التي استحوذ عليها وفي الوقت نفسه طلب من أساقفة وأقطاب شمال إنكلترا انه إذا لم يمتثل الملك الاسكتلندي على الفور لذلك أن يساعدوا ويدعموا عمدة كمبرلاند (Cumberland) في إجباره على استعادة كارلايل، وكان الملك الاسكتلندي أرسل جيشه إلى

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

بلاده بمجرد أن سمع بمعاهدة السلام وانتظر في جيدبورج (Jedburgh) ليرى ما سيحدث ويبدو أن الإسكندر قد استسلم على الفور وخضع للوصي ووافق على القدوم إلى إنكلترا لرؤية الملك هنري الثالث ، وبالفعل تم عقد الاجتماع في نورثهامبتون بحدود ١٨ كانون الأول ١٢١٧ وبعد أن سلم كارلايل الى الوصي تم إعفائه من الحرمان الكنسي وتم استقباله بكل احترام واعلن الولاء للملك الإنكليزي على أرض هانتينغدون(Huntingdon) ولم يحصل على شيء من الحرب. (Carpenter, 1990, p. 69)

-الخلافات حول المناصب العليا

ومن المشاكل الأخرى التي واجهت الوصي هي ان المملكة كانت مليئة بالمسؤولين المحليين الذين تم تعيينهم من قبل الملك جون، وادعى الكثير منهم أنه لا يمكن إلغاء تعييناتهم حتى يبلغ الملك سن الرشد، واستند العديد منهم في هذا الادعاء على أنهم كانوا يحمون ممتلكات الملك، وبالتالي لا يمكنهم التنازل عنها في عهدة الوصي. (Beem, 2008, p. 23)حيث كان لرجال البلاط دورًا أساسيًا في حكم المقاطعات بصفتهم عمداء ومسؤولين عن تلك المقاطعات، وعملوا على ضمان ولاء مناطقهم في وقت الحرب فضلا عن نشر السياسات الملكية وتنفيذها وقت السلم، وكان المنصب المحلي مربحًا وعلى هذا النحو كان بمثابة المكافأة المتوقعة لمؤيدي ومناصري الملك، ومع ذلك كان لا بد على الوصي من إيجاد توازن دقيق بين هؤلاء المسؤولين الملكيين واعيان المقاطعات والبلدات في الفصل في مطالباتهم الخاصة بالمناصب والسلطة والمحسوبية داخل مناطقهم حتى لا يكون تهديدًا للسيطرة الملكية هناك. وقد تركز الحكم عند عدد من رجال البلاط الملكي فعلى سبيل المثال كان هيوبرت دي بيرغ يحكم ثلاث مقاطعات وستة قلاع على الأقل، ووليام لونجسورد مقاطعتين ويسيطر على ثمانية قصور ملكية على الأقل، وإيرل تشيستر ثلاث مقاطعات مع القلاع المصاحبة لها، وحكم عشرات البارونات والقادة العسكريين من معاقلهم ما يقرب من عشرين مقاطعة في الأراضي الوسطى وغرب إنكلترا، ومع ذلك فطالما عاش الوصي هذه الصراعات واستطاع ان يجعل الامور تحت السيطرة بشكل جيد إلى حد ما لأن حكومته لم تحاول إعادة توزيع للمناصب بشكل كبير خلال فترة ولايتها، كما قام الوصي بترقية العديد من رجاله الأكثر إخلاصًا إلى الخدمة الملكية وأصبح ابن أخيه جون مارشال رئيسًا لقضاة الغابات الملكية، وكان حلفاء الوصي الآخرون قد حصلوا على خدمات ملكية مربحة. (Stacey, 1987, pp. 10-11)

وكان هدف الوصي هو قمع الحروب الخاصة التي كانت مشتعلة بسب الصراع على المناصب العليا في المقاطعات الغربية من المملكة وبالفعل استطاع ان ينجح في ذلك الى حد كبير اما عن طريق التعينات او التعويضات المالية التي وعد بدفعها لبعض البارونات ،كما عمل الوصي مع بارونات الخزانة على حث عمد المقاطعات على ارسال الأموال الى الخزانة الملكية وأعرب عن خوفه من أن يحتفظ العمد لأنفسهم بالأموال المحلية التي قد ينفقونها محليًا بدلاً من دفعها إلى الخزانة لذا اصدر أوامره المشددة لعمد المقاطعات بإرسال تلك الاموال في موعد اقصاه٢٣ نيسان٢٠١٨. (Carpenter, 1990, pp. 70-71)

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

-حماية اليهود

كما عملت حكومة الوصي على حماية اليهود من الاضطهاد ففي شهر أذار ١٢١٨ وُضِع يهود غلوستر ولينكولن وأكسفورد وبريستول تحت رعاية خاصة مكونة من أربعة وعشرين شخصاً تم اختيارهم واعتمادهم بشكل رسمي، وكان عليهم حراسة اليهود ضد التحرش والمضايقات من أي شخص ولا سيما من الصليبيين، ولتمييز المواطنين اليهود تم الزام جميع اليهود عندما يكونوا خارج المنازل بوضع علامتين لونهما ابيض من الكتان أو الرق على الواجهة الأمامية من ملابسهم العلوية، ومما ساعد على احلال السلام العام في انكلترا وتم الحفاظ عليه بسهولة أكبر خلال عامي ١٢١٨-١٢١٩ هو أن العديد من البارونات البارزين من كلا الطرفين في الحرب الأهلية الاخيرة قد التحقوا بالحملة الصليبية ضد المسلمين في الشرق . (NORGATE, 1912, p. 97)

-وفاة وليام مارشال

أصيب الوصي بمرض مفاجئ في نهاية شهر كانون الثاني ١٢١٩وعلى الرغم من أنه تعافى قليلاً إلا أن الفارس البالغ من العمر آنذاك اثنين وسبعين عامًا أدرك أن النهاية كانت قريبة. (Weatherly, 2001, p. 95) ليستأنف الوصي بعد ذلك عمله بالتصديق على الرسائل الملكية مع أسقف وينشستر، الا ان المرض استفحل في جسده لدرجة أنه لم يتمكن من حضور المجلس الملكي الكبير الذي انعقد في روتشستر في أوائل شهر اذار ١٢١٩ وكان عليه ان يلتقي مبعوث الملك الفرنسي فيليب أغسطس الا انه ترك هذه المهمة الى أسقف وينشستر وهيوبرت دي بيرغ، وكان مبعوث الملك الفرنسي قد وصل في ١١ اذار واحضر خطابا من الاخير يشير فيه إلى استعداده للاستجابة لطلب البابا وتجديد الهدنة التي كان من المقرر أن تنتهي في عيد الفصح من عام ١٢١٩. (Carpenter, 1990, p. 104)

ومع استمرار تدهور حالته الصحية قرر الوصي ان لا يموت في برج لندن بل في قصره الخاص في كافيرشام (Caversham) بالقرب من ريدينغ (Reading) ، فغادر البرج في ١٦ آذار أو بعده بيوم وتمت الرحلة عبر النهر حيث كان الوصي على متن قارب وتبعته الكونتيسة زوجته في قارب آخر وبحلول ٢٠ اذار كانوا في كافيرشام. (Carpenter, 1990, p. 105; Brooks, 2014, p. 281)

في تلك الظروف انحصر فكر الوصي في مستقبل المملكة لذا استدعى مجلسًا إلى بيته، فتوجه الملك والمندوب البابوي الجديد باندولف Pandolph والنبلاء إلى كافيرشام وجلسوا حول سريره في ٨ نيسان ١٢١٩ وكانت نية الوصي هي اختيار خليفة لنفسه ليحرس الملك والمملكة، لكن أسقف وينشستر احتج على هذا الاقتراح وأكد أن الملك قد عُهد إليه لرعايته، أما المملكة فقد عُهد بها إلى الوصي ونفى الوصي ذلك، ومع ذلك في اليوم التالي ٩ نيسان في التجمع الثاني حول سريره غير الوصي رأيه واتخذ قرار ربما نتيجة لذلك الاحتجاج بأن ترشيح خليفة له لن يؤدي إلا إلى تفاقم التوترات وتأجيج الغيرة، وبناء على ذلك عهد بقضية الملك الشاب وميراثه بشكل عام إلى رعاية المندوب البابوي باندولف حيث أمسك بيد الملك وعهد به إلى الله والبابا

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

والمندوب باندولف باعتباره ممثل البابا في البلاط الانكليزي، ثم أخذ يد الملك الصغير في يده وقال (سيدي أدعو الله الرب... أن يتقبل صلاتي لكي تصبح رجلاً شريفًا ولكن إذا كان الأمر خلاف ذلك واتبعت مثال أحد الأسلاف الأشرار فإنني أدعو الله... ان لن يستجيب لك) وبهذا الانتقاد المستتر لوالد هنري الملك جون تخلى وليم مارشال عن دوره كوصي على إنكلترا. (Weatherly, 2001, p. 95; Brooks, 2014, pp. 281-283)

بعد تلك الاستقالة بقي وليم مارشال لمدة شهر آخر في كافيرشام وكان يعاني من صعوبة تناول الطعام باستثناء قليل من الفطر المحشو بالخبز، وطلب من ابنه الأكبر أن يبقى بجانبه حتى النهاية وأن يرافق جثمانه إلى لندن وأمره بإطعام وكسوة ما لا يقل عن مائة فقير بعد دفنه، ليفارق الحياة وهو بين ذراعي ابنه وعيناه مثبتتان على الصليب في يوم ١٤ أيار ١٢١٩ ليوضع جثمانه في دير ريدينغ، وفي اليوم التالي شق موكب الجنازة طريقه نحو لندن بنوع من الأبهة المخصصة عادة للملوك، وبعد القداس في كنيسة وستمنستر أجرى رئيس أساقفة كانتربري مراسم الدفن في كنيسة الهيكل وذكر أن ويليام مارشال كان أفضل فارس في العالم كنيسة الهيكل واختتم الحفل بتوزيع الأموال والطعام على حشد كثيف من الفقراء. (Weatherly, 2001, pp. 97-98; crouch, 2002, pp. 138-139)

الخلاصة:

-ان ما عاشته إنكلترا خلال المدة ١٢١٦-١٢١٩ من مشاكل معقدة انما هي نتيجة حتمية لسياسات الملك جون المجحفة واهداره لثروات المملكة فكانت حركة المعارضة حقا طبيعيا تجاه ذلك على الرغم من انها استعانت بقوة خارجية كانت لها اطماعها الخاصة.

-يمكن ان نقول ان وليم مارشال استطاع ان ينقذ انكلترا من حافة الهاوية نتيجة الانقسامات الحادة التي عاشتها خلال عهد الملك جون حيث استطاع ان يقود المملكة الى بر الامان نظرا للصفات القيادية والخبرة التي اكتسبها طوال حياته.

-كما كان لوفاه الملك جون المكروه من قبل الشعب والنبلاء على حد سواء ان خففت حدة المعارضة وساعدت حكومة الوصي في استقطاب فئات معارضة لسلطة التاج الانكليزي

-كلفت الحرب الاهلية فضلا عن الغزو الفرنسي لإنكلترا خسائر اقتصادية كبيرة حيث اصبحت خزينة المملكة في حالة يرثى لها مما وضع أعباء اضافية على حكومة الوصي التي حاولت ان تخفف من ذلك قدر الامكان

- كان للكنيسة الرومانية وعلى راسها البابا دورا هاما في احباط ثورة البارونات الاولى والغزو الفرنسي لإنكلترا من خلال منعه في تقديم اي مساعده لهما وبذلك هو ساهم في حفظ العرش الإنكليزي.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

List of sources

English books-

1- Andrews, C. M. (1903). *A History of England.* Boston: Allyn and bacon.

2- Beem, C. (2008). *The royal minorities of medieval and early modern England.* New York: Palgrave Macmillan.

3- Brooks, R. (2014). *The knight who saved England William Marshal and the French invasion.* Oxford: Osprey Publishing.

4- Carpenter, D. (1990). *The minority of Henry III.* Britain: Methuen London.

5- CLANCHY, M. T. (2014). *ENGLAND AND ITS RULERS 1066–1307.* John Wiley & Sons Ltd.

6- Clowes, W. L. (1897). *A History From the Earliest Times to the Present.* LONDON: SaMPSON Low, Marston and Company Vol. I.

7- Cross, A. L. (1920). *Ashorter History of England and Greater Britain.* New York: Teh Macmillan Company.

8- crouch, D. (2002). *William Marshal knighthood war and chivalry 1147-1219* (Vol. Second edition). London: Pearson education limited.

9- Davies, E. W. (1916). *A History of England.* New York: Longmans Green and Co.

10- DAVIS, H. (1905). *England under the Normans and the Angevins1066-1272.* G.P. PUTNAMS SONS.

11- Davies, E. Wyatt(1916). A History of England. New York: Longmans Green and Co.

12- GASQUET, A. (1910). *HENRY THE THIRD AND THE CHURCH.* LONDON: G. BELL AND SONS LTD.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

13- J.G.EDGAr. (1908). *runnymede and lincoln fair A Story of the Great Charter* . LONDON.

14- Jones, D. (2015). *MAGNA CARTA.* New York: PENGUIN BOOKS.

15- Markham. (1853). *History of England.* London: John Murray.

16- MAURICE, C. E. (1872). *LIVES OF ENGLISH POPULAR LEADERS(STEPHEN LANGTON).* LONDON: HENRY S. KING & Co.

17- McGlynn, S. (2011). *Blood cries afar : the forgotten invasion of England 1216.* Gloucestershire: Spellmount.

18- NORGATE, K. (1912). *THE MINORITY OF HENRY THE THIRD.* LONDON: MACMILLAN AND CO.

19- ORPEN, G. H. (1920). *IRELAND UNDER THE NORMANS 1216-1333* . OXFORD: AT THE CLARENDON PRESS vol. III.

20- painter, s. (1933). *william marshal knight-errant baron and regent of England.* London: the johns hopkins press.

21- R.GARDINER, S. (1907). *THE HISTORY OF NATIONS ENGLAND.* JOUX D. MORRIS & COMPANY Volume XI.

22- RAMSAY, J. H. (1908). *THE DAWN OF THE CONSTITUTION OR THE REIGNS OF HENRY III AND EDWARD I (A.D. 1216-1307).* New York: SWAN SONNENSCHEIN & CO.

23- Stacey, R. C. (1987). *Politics, policy, and finance under Henry III, 1216-1245.* Oxford: Clarendon Press.

24- SYMPSON, E. M. (1906). *LINCOLN A HISTORICAL ANDTOPOGRAPHICAL ACCOUNT OF THE CITY.* LONDON: METHUEN AND CO.

25- Thompson, E. (1879). *History of England.* Toronto: ames Campbell and Son.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

26- Wallace, D. C. (2014). *Chronology of the Angevins 1154-1216 & the Plantagenets 1216-1372.* England: Fastprint Publishing.

27- Weatherly, M. (2001). *William Marshal, medieval England's greatest knight.* United States of America: Greensboro, N.C. : M. Reynolds.

-French books

1- DUTAILLIS, P. (1894). *ÉTUDE LA vIE ET LE RÈGNE LOUIS VIII (1187-1226).* PARIS: LIBRAIRIE EMILE BOUILLON.

2- GABOURD, A. (1856). *HISTOIRE DE FRANCE DEPUIS LES ORIGINES GAULOISES JUSQU'A NOS JOURS.* PARIS: GAUME FRÈRES, LIBRAIRES-ÉDITEURS.

3- Gaillard, M. (n.d.). *HISTOIRE DE LA RIVALITÉ DE LA FRANCE ET DE L'ANGLETERRE.* PARIS: TOME SECOND, Chez Saillant & Nyon.

4- GUIZOT, m. (1825). *COLLECTION DES MÉMOIRES RELATIFS A L'HISTOIRE DE FRANcE.* PARIS: CHEZ J.-L.-J.-BRIÈRE, LIBRAIRE.

5- LUCHAIRE, A. (1911). *HISTOIRE DE FRANCE ILLUSTRÉEDEPUIS LES ORIGINES JUSQU'A LA RÉVOLUTION(1137-1226).* LIBRAIRIE HACHETTE.

6- M. Gaillard, *HISTOIRE DE LA RIVALITÉ DE LA FRANCE ET DE L'ANGLETERRE*. PARIS: TOME SECOND, Chez Saillant & Nyon.

7- MARTIN, H. (1859). *HISTOIRE DE FRANcE DEPUIS LES TEMPS LES PLuS RECULÉS JUSQU'EN 1789.* PARIS: TOME QUATRIÈME, FURNE ET cie.

8- SISMONDI, J. C. (1823). *HISTOIRE DES FRANÇAIS.* PARIS: TOME SIXIEME, Chez TREUTTEL et WÙRTZ.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317

9- TODIÈRE, M. (n.d.). *PHILIPPE AUGUSTE.* ALFRED MAME ET FILS.

-الرسائل الجامعية

١-مواهب عدنان احمد محمد. (٢٠٠٨). *الماگنا كارتا و بدايات التطور الدستوري في انكلترا (١٢١٥-١٢٢٥)*. كلية التربية جامعة تكريت,رسالة ماجستير.

- University dissertations

1-Adnan Ahmed Muhammad's talents. (2008). *The Magna Carta and the beginnings of constitutional development in England (1215-1225).* College of Education, Tikrit University, Master's thesis.

ISSN (Print): 1994-8999, ISSN (online): 2664-469X. DOI Prefix: 10.36317